

المحور الأول نماذج تطبيقية من فلسفة العلوم الطبيعية والصورية

المحاضرة رقم: 6

فلسفة البيولوجيا

بالرغم من اهتمام العلماء والفلاسفة بالمسائل التي تخص علم الأحياء أو الحياة على وجه الدقة، لم ينقطع يوماً، إلا أن تلك الاهتمامات كانت ذات صبغة ميتافيزيقية لاهوتية، بل إن نظريات البعض من هؤلاء كنظرية التوالد الذاتي الأرسطية شكلت عائقاً في وجه تطور البيولوجيا. وبقي الأمر على تلك الحال إلى غاية القرن التاسع عشر أين بدأت تتشكل في الأفق بوادر لاستقلال البيولوجيا عن الفلسفة واللاهوت على حد سواء. لقد تميز هذا القرن بنضج المعارف البيولوجية وظهور المفاهيم والنظريات والاكتشافات الكبرى ودحض نظريات أخرى كانت موضع تأييد لفترة طويلة. ففي أوائل القرن 19 قام عالم التشريح الفرنسي كوفيه وآخرون بدراسات عن التشريح المقارن والحفريات، وأسس لفكرة أن الحفريات ماهي إلا بقايا أنواع منقرضة، وليست بقايا لكائنات ما زالت حية في أماكن أخرى غير معروفة، كما كان يعتقد. ومن المفاهيم المحورية التي تعد علامة بارزة وفارقة ومفصلية في علم البيولوجيا، مفهوم التطور حيث سادت في البداية نظرية لامارك عن وراثه الصفات المكتسبة كآلية لتطور الأنواع. ثم جاء داروين بفكرة الانتخاب الطبيعي (1859)، والصراع من أجل البقاء، والبقاء للأصلح، وغيرها من المفاهيم المركزية التي ضمنها كتابه أصل الأنواع.

ومن العلامات البارزة في تاريخ البيولوجيا عالم الأحياء والفيزيولوجي الفرنسي كلود برنار الذي يعود إليه الفضل في تحول البيولوجيا بشكل من علم وصفي إلى علم وضعي تجريبي، وفي التحول الحاصل في طبيعة الفيزيولوجيا؛ ففي زمن كوفيه كانت تشكل منظومة مرجعية لعلم التشريح، وكانت تستخدم لإقامة التشابهات التي تبني عليها المقارنة بين الكائنات الحية وتعضيها. ومع برنار اختلف الأمر كلياً. فلم يعد العضو يفسر بمصطلحات بالبنية والنسيج (التفسير الكيفي)، وإنما يحلل ويجزأ ويخضع للقياس قد الإمكان (التفسير الكمي).